مريم وحسّان

زارت وقد عوّم ندماني رومية من شيد بغدان
في اجانب الشرقي من دجلة غريبها اهلي وجيراني
اقسم رائيها بها ما رأت مثالها في الناس عينان
وقال إن تصدق فثوبي بها فانها من حور رضوان
فهي ملاك قد تجسّت لنا انواره في شكل انسان
وانت وسيف الفجر شق الدجى فسالت منه دمعة القاني
فقلت بشرى معجزٌ باهرٌ ليل به يطلع شران
واقبلت ترفل في ريطة إزرقار شجعان بيدان
تجرّ ذيلاً ماحياً إثرها محافة النمام والشاني
وتنثني من خطرات الصبا كما انثنى غصن من البان
تظمها الظرف وقد حزّها للدلّ والخرة سكران
وسلّمت بازأس ثم انثنت فسالحتني دون اخداني
وقد حنا الصحب لها اروساً حنوّ مملوك لسلطان
حتى اذا النادي بها ازدان وال بشر علا وجه ندماني
غنّت على ضرب زاليانو فمن إسحقٌ في ضربٍ وألحان
واتجه الفكر اليها فلم يشغلهُ عنها شاغل ثان
ورجيت الاجسام ان لو غدت جميعها موضع آذان
وبينا نحن على حالة قد طاب فيها عيشنا الفاني
من وارف الظلّ لنا كلةٌ وفرشنا روضة بستان
إذ دهمتنا عصبة ما بها عبر شقيٍّ عبد شيطان
من كل إنسانٍ قسا قلبهُ هان عليهِ ذبح انسان
فاختطفوا مريم من بيننا وابتدر الصحب لخذلاني
ولم يخلّني الاّ فتىً من أسرتي قد ظلّ يرعاني
فاستصرخت مريم اين الاولى بهم أرجّي دفع عدواني

(١) احد احياء بغداد

اين ذو الاعراض والفخوة ان فساء من شيب وشبّان
ثمّت استنجد ذاك الفتى والكلّ منا يجد الثاني
فصاني مع صاحبي فجأة بين جنبينا شهبان
غرّ كلّ صعدة جسمه مزمل في دمه القاني
وارسلت مريم من لحظها نظرة مأمور وحيران
وجرّها بالعنف اعداؤها وهي تنادي اين فتياني
وجاء جندي على غرّة مسلح من جند عثمان
يخفر تلك الارض في زعمه ويحفظ القاضيّ والداني
فامّلت منه خلاصاً لما رأته قاصد العاني
خاطبها من لؤمه بالخنى وقال صبراً بعد سلوان
فاجفلت مذ سمعت قوله إجفال غزلان وظلمان
واوثقت من فرط ما نالها رعدة مفلوج ورجفان
وسالت دمع العين من قلبها في الخدّ يجري جري غدران
ومذ رأت ليس لها راحم من مسلم برّ ونصراني
مدّت الى الرب يديها معاً داعية لله ذي الشان
والنفس في رقدة إغفائها قد اشبهت حالة نسوان
وبينما كانت على حالة باقي لها الصاحب والثاني
اذ هيأ الله لها منجداً يعرف في القوم بحسان
العفو والرحمة في قلبه والرفق بالباس والعاني
فانقضّ كالباز على صعوة او نيزك من رأس بركان
وحلّ فيهم اسد خادر قد حلّ في سرح من الضان
وخلّص البكر التي صانها عفافها عن وصمة ازاني
واوثق القوم كتافاً وقد البسهم الواب نسوان
وساقهم من بعد ما طلق ان جندي للقاضي كحملان
فاستنطق الجندي قاضي الورى يسأله عن صدق تبيان
فقال يا قاضي القضاة الذي يقضي على شرع وقرآن
اسمع مقالي بالخبر يا سيدي والصدق والعفة من شاني

ان شجاع الحرب يوم الوغى ... الف فرسانا بفرسان
أسرت ذي العصبة مع شيخهم ... هذا الذي في الحرب اعياني
وقدته قود الذلول الذي ... اطاعني من بعد عصيان
وصفرة اللون الذي لم يشب ... بانكذب هذا الرجل الجاني
فزجه الحاكم في جانبي ... سجن عليه شر سجان
وبات في محبسه ليلة ... في سهر دام واشجان
ثم قضى في صبحها نحبه ... والموت فوز الواجد العاني
فشيع النعش ذوو رحمة ... من طالبي أجر وغفران
وعند ما ساروا بتشييعه ... وقد مشوا مشية عجلان
لاقتهم مريم من خلفها ... جمع محامين وأعوان
قاصدة قاضي القضاة الذي ... يحكم في ظلم وعدوان
فأوجست لما رأت نعشه ... ملقى على اكتاف غلمان
ثم انثنت نحو فتى خلفه ... تسأل عن نعش الفتى القاني
فقال والدمعة من عينه ... ساكبة ذا نعش حسان
خلص بالامس فتاة من ال ... سبي فعدوه الفتى الجاني
ومات ذي الساعة يا سوء ما ... يجزى به صاحب إحسان
فصعقت مريم من شجوها ... وكم قضى صريع اشجان
فضج كل الناس من امرها ... واطلقوا الدمع كمثيان
وارسلوا خلف ذويها لكي ... يأتوا بنعش وبأكفان
فجاء شيخ وعجوز معا ... وطفلتان ثم طفلان
يبكون للحي ومن خلفهم ... قد حمل النعش فتاتان
وشيعوا النعشين في حفلة ... يبكي عليها كل غيران
ودفنوا الميتين في حفرة ... في روضة في وسط بستان
وخطه بالتبر على لوحها ... هذان ميتان شهيدان
مريم ماتت في سبيل الوفا ... ومات حسان باحسان
عليهما صلى الله الورى ... برحمة منه ورضوان

بغداد كاظم الدجيلي